مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

الربط وأدواته في الجملة الشرطية من خلال آيات الأحكام في سورة النساء

1- مبارك سيد أحمد علي حمد 2- د. محمد علي أحمد عمر

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة الروابط الشرطية وأثرها الدلالي في تماسك التراكيب الشرطية في سورة النساء، موضحةً مفهوم الربط وأدواته ، وصور التراكيب الشرطية. اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، معتمدا على نماذج من صور التراكيب الشرطية التي وردت في سورة النساء ، حيث قدم شرحا وافيا لهذه الأدوات وأثرها في تماسك النص القرآني، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج مهمة في دراسة النصوص لاسيما القرآنية، منها: 1-أن أسلوبَ الشرطِ يستخدَم في الحالاتِ التي فيها ترتيبُ شيءٍ على غيرِه، ومعظم جمل الجواب جاءت طلبية تحمل ما يجب أن يلتزم من حكم شرعي مترتب على ما سبق من شرط. 2- إن كثرة الجمل الشرطية في سورة النساء تعني التفصيلَ، واستقصاءَ التفاصيلِ وبيان الأحكام المختلفة المترتبة عليها.

الكلمات المفتاحية:

الربط – التركيب الشرطي – التماسك النصي.

Abstract:

This study examined the conditional conjunction devices and their semantic effect on the coherence of the conditional structures in Surat Al-Nisaa. The study explains the concept of conditional conjunction devices, and the images of the conditional structures. The researcher followed the descriptive analytical method, relying on examples of images of conditional compositions that appeared in Surat Al-Nisaa, where he provided an adequate explanation of these tools and their effect on the coherence of the Qur'anic text. The study concluded to some important results regarding the study of texts, especially the Quranic verses. These are: condition is used in cases in which there is an arrangement of something over another, and most of the sentences of the conditional clauses are an order that carries the legal obligation that follows from the foregoing condition. 2- The abundance of conditional sentences in Surat Al-Nisaa indicates detailing, investigating details and explaining the different provisions that result from them.

Keywords:

conjunction - conditional syntax – cohesion

المقدمة:

تعتمد اللغة العربية على أدوات كثيرة متعددة في تحقيق الربط بين مفرداتها وتراكيبها وسبك نصوصها واتساقها، وتتبع أساليب متنوعة في توظيف هذه الأدوات لتكون مفعمة بالدلالة والقدرة على البيان. ومما لا شك فيه أن الأسلوب القرآني يظهر إعجازه في توظيفه لأدوات الربط توظيفا يحقق مقاصده ويجلي إشاراته الحكيمة، ويفصح عن بيانه الرائع في التصوير والتمثيل ، وبلوغه الغاية من الأداء اللغوي الذي يبرز إعجاز هذه اللغة و تفردها بقدرات تعبيرية لا حدود لها، تظهر جلية في نصوص الذكر الحكيم ، ولدى أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان من الشعراء والكتاب والخطباء.

مفهوم الربط:

الربط من القضايا التي اهتم بها المشتغلون بدراسة اللغة وتراكيبها من القدامى، والمحدثين. ومن أقدم هؤلاء العلماء الذين تنبهوا إلى أهمية الربط في وصل الكلام العربي؛ الخليل ابن أحمد ، فقد نقل عنه تلميذه سيبويه حيث يقول:(سألت الخليل عن قوله عز وجل: (وإن تصبهم سيئة فيما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) (الروم:36) فقال هذا كلام معلق بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول، وهذا ها هنا في موضع قنطوا، كما كان الجواب بالفاء في موضع الفعل) (سيبويه– د.ت ، ص64–65). ومن هؤلاء القدماء الذين جاءوا بعد الخليل وسيبويه؛ ابن السراج، فقد عرف الربط، وقصد به مجموعة الأدوات التي تربط بين المفردات بعضها ببعض، وبين الجمل بعضها ببعض من ناحية أخرى مثل حروف العطف وأدوات الشرط؛ فقال: (واعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع: إما أن يدخل على الاسم وحده مثل الرجل أو الفعل مثل سوف أو ليربط اسما باسم نحو:جاءني زيد وعمر، أو فعلا بفعل أو فعلا باسم أو على كلام تام، أو ليربط جملة بجملة، ويكون زائدا) (ابن السراج ، 1985م، ج1/ص 42).

و من البلاغيين القدامى الذين اهتموا بقضية الربط الخطيب القزويني الذي تناوله ضمن مباحث علم البلاغة تحت اسم الوصل والفصل حيث يقول:(القول في الوصل والفصل : الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه)(الخطيب القزويني ، 2003، ص118). وهو من قضايا اللغة الشائكة لدى هؤلاء العلماء، يحتاج في معرفته إلى ملكات خاصة فهو من فنون البلاغة: (عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علماً بكنهه؛ إلا من أُوتَي فهَم كلام العرب طبعا سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحاً)(الخطيب القزويني ، 2003، ص118) وعلى هذا فإن هذه الملكات يجب توفرها لدى من ينشيء الكلام ومن يفسره ويحلل نصوصه ويسبر أغواره ليستخرج ما فيه من الفِكَر، ويصف ما فيه من روعة البيان وقوة السبك والاتساق. وقد اهتمت مباحث علم اللسانيات الحديثة بالربط و وظيفته في تحليل النصوص ضمن مباحث علم اللغة النصي، وقد ترجم مصطلح الربط في الدراسات الحديثة من المقابل الإنجليزي(Cohesion) ، يقول جمعان عبد الكريم عند حديثه عن التماسك النصي: (التماسك مصطلح مترجم من الكلمة الإنجليزية : (Cohesion) وقد وقع في ترجمته بعض الاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مترجمة إلى العربية، فترجمه محمد خطابي إلى الاتساق، في حين ترجمه تمام حسان إلى السبك، وترجمه إلهام أبو غزالة وعلي خليل إلى التضام، أما عمر عطاري فترجمه إلى الترابط) (جمعان الغامدي، 1427هـ، ص:15)

والربط في الاصطلاح النحوي هو العلاقة القائمة بين المفردات والجمل والتراكيب، ويطلق على الحروف والأدوات روابط لأنها تربط بين أجزاء الكلام وعناصره وبدونها يكون السياق مفككا(داوود، محمد علي، هدي: 2016(2)–17 volume) وعلى هذا فإن الربط علاقة تقوم على سابق ولاحق في السياق اللغوي. وتعتبر أدوات الشرط ، والاستفهام والعرض والتحضيض والترجي والتمني والنصب والجر والعطف إلى آخر ما تذخر به اللغة من هذه الأدوات؛ روابط لفظية لإظهار العلاقة بين الحال وصاحبها، والمبتدإ وخبره، والشرط وجوابه، والقسم وجوابه، والموصول وصلته.

أنواع الربط:

قسم العلماء الربط إلى نوعين: الربط المعنوي ، والربط اللفظي.

1– الربط المعنوي:

من أهم الروابط المعنوية **الإسناد**، وضحه ابن مالك في الشافية عند حيثه عن الكلام وما يتألف منه بقوله:

وهو من اسمين كـ(زيدٌ ذاهبُ) واسم وفعل نحو (فازَ التائبُ)

يشرح ابن مالك ذلك بقوله: (تركيب الكلام إما: من اسمين أُسندأحدهما إلى الآخر؛ كإسناد ((ذاهب)) إلى ((زيد))، ... وإما من اسم وفعل مسند هو إلى الاسم؛ كإسناد ((فازَ)) إلى ((التائبِ)) . (ابن مالك، شرح الشافية الكافية، 2010م، ج1، ص 57).

فالإسناد هو: (إثبات شيئ لشيئ، أو نفيه عنه، أو طلبه منه)(عباس حسن، 1999م، ج1، ص28)، والمسند والمسند إليه هما العنصران الأساسيان لبناء أي جملة بسيطة، فالمسند إليه هو: ما نسب إليه فعل الشيئ، وتركه، أو طلب منه الأداء، والمسند هو:الشيئ الذي حصل و وقع، ولم يحصل ولم يقع، أو طُلب حصولُه. ولا يكون المسند إلا اسماً كما يفهم ذلك مما سبق.

ومن الربط المعنوي: **أن يكون الخبر هو عين المبتدأ** كقولك:نطقي اللهُ حسبي، نطق: مبتدأ أول، ونطق وياء المتكلم مضاف إليه، (الله) : مبتدأ ثانٍ، (حسبي) : خبر المبتدأ الثاني، وجملة المبتدأ الثاني في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وهذه الجملة صلحت أن تكون خبرا متمما للفائدة مع المبتدأ لأنها هي عين المبتدأ، وكونها عين المبتدأ لم تحتج إلى رابط يربطها بالمبتدأ ولذلك عرف هذا الاتصال بالربط المعنوي. يقول ابن مالك في الألفية: (ابن مالك، شرح ابن عقيل ، 1999م، ج1، ص202).

وإن تكن إياه معنى اكتفى بهاكنطقي اللهُ حسبي وكفى.

ومن الرابط المعنوي: **العموم وهو**:(أن يكون في الجملة الواقعة خبرا ما يدل على عمومٍ يشمل المبتدأ السابق وغيره) (عباس حسن، النحو الواضح، د.ت،ج1، ص:468).من أمثلة ذلك: أما جُبْنُ المحارب فلا جبنَ في بلادنا، وأما هربُه فلا هربَ عندنا. والعربي نعم البطل) يقول عباس حسن بعد ذكره الامثلة السابقة: (ففي الجبن هنا أمر عام يشمل جبن المحارب وغير المحارب، وكذلك عدم الهرب في بلادنا يشمله ويشمل غيره... والبطل الممدوح بكلمة ((نعم)) يشمل العربي وغيره. (عباس حسن، النحو الواضح، د.ت،ج1، ص:468).

2- الربط اللفظي:

النوع الثاني من أنواع الربط هو الربط اللفظي، وهو أكثر شيوعا في التراكيب اللغوية من الربط المعنوي، ويتحقق بوسائل لفظية مستترة أو مقدرة ، والمقدر منها يحمل حكم الظاهر . هذه الأدوات هي: الربط بأدوات العطف، والربط بحروف الجر، الربط بالضمير، والربط باسم الإشارة، الربط بأدوات الشرط ، والربط بالاسم الموصول، والربط بالاستثناء...

الربط في التركيب الشرطي:

يتكون التركيب الشرطي من أداة الشرط، والشرط وجوابه، هذا التكوين يجعل من التراكيب الشرطية أكثَر تراكيب اللغة تماسكاً، وتلازماً . فمن ناحية الشكل نجد أن التراكيب الشرطية مكونة من جملتين، ولكن باعتبار ما بينهما من ترابط لفظي ومعنوي فهما بمنزلة الجملة الواحدة، هذا ما أكده الجرجاني بقوله: " واعلم أن سبيل الجملتين [جملة الشرط وجملة الجزاء] وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة، سبيل الجملتين تعقد منهما الجملة ... كذلك يكون الشرط في مجموع الجملتين لا في أحدهما)(الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 246) . ويتضح هذا المعنى في قول الرضي: " إن أداة الشرط الرابط بين جملتي الشرط لاقتضائها الفعلين اقتضاءً واحداً، فأداة الشرط كالابتداء العامل في الجزئين)(الرضي، شرح الكافية، ج4، ص96). الجمل التي تعطف على جملة الشرط، أو جملة الجزاء تدخل في مجموعهما وتكوِّن الجملة الشرطية بمجموع ما دخل فيها شرطاً . مثال ذلك قوله تعالى:(وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) (النساء :112).فكل مرتكب خطيئة أو إثمٍ؛ ثم اتهم بريئا آثِم مستحقٌ العذابَ سواء فعلهما أو واحدةً منهما لأن جزاء الشرط اقتضى

وجوب الحكم عند تحقق الشرط، والجزاء واحد لكل ما تقدم، وهذا دليل على أن ما يعطف على الشرط جزء منه)(الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 246).

نماذج الربط في التراكيب الشرطية من سورة النساء:

1- من المعلوم أن أسلوب الشرط يستخدم في الحالات التي يترتب فيها حدوث أمر من الأمور في حياتنا على غيره، وكثرة استخدامه في الكلام يعني التفصيل والاستقصاء، وقد تجلت هذه الظاهرة الأسلوبية في سورة النساء على نحو معجز.لاسيما في آيات الأحكام ، يقول الله سبحانه وتعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)(النساء،43) ذكرت الآية الكريمة أسباب التيمم وهي أربعة (المرض، السفر ، المجيئ من الغائط ، ملامسة النساء) وذكرت ما يترتب على هذه الأسباب من حكم شرعي هو إباحة التيمم مقيدا بعدم وجود الماء. كل هذا التفصيل والحكم والتقييد ورد في سياق شرطي أحكمت أجزاؤه حيث ربطت أداة الشرط ((إِنْ)) جواب الشرط المتضمن الحكم الشرعي ((فتيمموا)) بجملة الشرط المتضمنة لأسباب التيمم مع قيد عدم وجود الماء. هذه الأداة الشرطية((إِنْ)) هي حرفٌ عُد أصلا لأدوات الشرط و وصفها النحاة بأنها أم الشرط، قال إمام النحاة سيبويه: (زعم الخليلُ أن ((إِنْ)) أمُّ حروفِ الْجَزاء فسألته لم قلتَ ذلك؟ فقال: مِنْ قِبل أَنِّي أرى حروف الجزاء قد تصرَّفْن فيكنَّ استفهاماً، ومنها ما تفارقه ((ما))فلا يكون فيه جزاءٌ ، ... وهذه على حالٍ واحدةٍ لا تفاق المجازاة)(سيبويه، الكتاب، ج3، ص63).

وذكر العكبري أن ((إِنْ)) الشرطية هي أم أدوات الشرط لوجهين

أحدهما: أنها حرف وغيرها من الأدوات أسماء ، والأصل في إفادة المعاني للحروف.

الثاني: أنها تستعمل في جميع صور الشرط، وغيرها يخص بعض المواقع.(العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل النحو، 1995، ج2، غص50). و المعنى الإجمالي لهذا السياق هو: (أن المريض والمسافر والمحدث حدثا أصغر أو أكبر يجوز لهم التيمم إذا فقدوا الماء.) (محمد علي الصابوني، تفسير آيات الأحكام، 1986م ، ج1،ص547) .

2- ومن نماذج هذه الظاهرة الأسلوبية التي تعنى بالتفصيل والاستقصاء في آيات الأحكام في سورة النساء ، قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)(النساء، 92)

فنلاحظ جليا التفصيل الذي ورد عبر سلسلة متتالية مترابطة من التراكيب الشرطية في سياق متصل متماسك ، وقد استخدمت من أدوات الشرط ((مَنْ)) في الجملة الأولى ، وهي وضعت في الأصل للدلالة على من يعقل ثم ضُمِّنت معنى الشرط، فصارت أداة شرط جازمة تحتاج إلى فعلين بعدها فتجزمهما، الأول منهما فعل الشرط ، والثاني جوابه، وتكون ((من)) بذلك رابطة للجواب بالشرط. والتركيب الشرطي في الآية الكريمة قوله تعالى : (وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ) فجملة الشرط هي قتل مؤمنا، وهي جملة فعلية فعلها ماض فاعله ضمير مستتر تقديره هو، وجملة جواب الشرط جملة اسمية مقترنة بالفاء؛ فتحريرُ خبر لمبتدأ محذوف تقديره عقابه تحرير، وقد اقترنت جملة جواب الشرط بالفاء لربطها بجملة الشرط لأن الجملة الاسمية لا تصلح أن تكون شرطا، يقول ابن الناظم:(متى لا يصلح أن يكون الجواب شرطا، وذلك إذا كان جملة اسمية، أو فعلية طلبية، أو فعلا غير متصرف، أومقترنا بالسين، أو سوف، أو قد، أومنفيّاً ب ((ما))، أو((لن))، أو ((إِنْ))فإنّه يجب اقترانه بالفاء) (ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، بدون:ت، ص701) ، وعليه فإن كان الجواب صالحاً

أن يكون شرطًا فلا حاجةَ إلى ربطه بالفاء،لأن بين جملة الشرط والجواب مناسبة لفظية تغني عن ربط الجواب بالفاء، ألا وهي الجزم.

وتتجلى روعة البيان الإلهي فيما تلى هذا التركيب الشرطي من تفصيل شرطيٍّ دقيق استخدمت فيه((إنْ))

في جملتين شرطيتين يفصلان حالة القتيل وما يترتب على قتله من حكم في سياق شرطي مترابط ، يقول جلال الدين في تفسير هذه الآية :(((ومن قتل مؤمنا خطأ)) بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبا «فتحرير» عتق «رقبة» نسمة «مؤمنة» عليه «ودية مسلمة» مؤداة «إلى أهله» أي ورثة المقتول «إلا أن يصَّدقوا» يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها ...«فإن كان» المقتول «من قوم عدُوٍّ» حرب «لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة» على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم «وإن كان» المقتول «من قوم بينكم وبينهم ميثاق» عهد كأهل الذمة «فدية» له «مسلَّمة إلى أهله» ... «وتحرير رقبة مؤمنة» على قاتله «فمن لم يجد» الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به «فصيام شهرين متتابعين» عليه كفارة ..))(جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين،1977م، سورةالنساء، ص77). هذا السياق القرآني تعاقبت فيه التراكيب الشرطية مفصلةً الأحوال ، ومستقصيةً الأحكام المترتبة عليها، و وُظِّفتْ فيه أدوات الشرط وأدوات العطف لاتساق النص القرآني وتماسك أجزائه وانسجام معانيه.

3- ومن نماذج الربط والتماسك النصي في تراكيب الأسلوب الشرطي في سورة النساء قوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا * وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَو كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)(سورةالنساء، الآيات:101، 102،103).

المعنى الاجمالي للآيات الكريمة:

ورد في تفسير هذه الآيات في روائع البيان في تفسير آيات الأحكام قول الشيخ محمد علي الصابوني:(إذا سافرتم أيها المؤمنون وسرتم في الأرض للجهاد أو التجارة أو السياحة أو غير ذلك، فليس عليكم حرج ولا إثم أن تقصروا من الصلاة المفروضة، فصلوا الرباعية ركعتين... إذا خفتم على أنفسكم من فتنة الكافرين فهم أعداء مظهرون للعداوة، ولا يراقبون الله ولا يخشونه فيكم، ولا يمنعهم فرصة اشتغالكم بمناجاة الله أن يقتلوكم، لأنهم أعداء لكم في كل حين وزمان، وإذا كنت يا محمد مع أصحابك في الحرب، وأردت أن تصلي بهم إماماً فاقسمهم طائفتين: طائفة تقف معك في الصلاة، وطائفة أخرى تحرسك ومعهم أسلحتهم فإذا سجدت الطايفة الأولى وأدركوا ركعة فليتأخروا لتتقدم الطائفة الأخرى التي كانت تتولى الحراسة فليصلوا معك كما فعل الذين من قبلهم، ثم يتمموا صلاتهم،ثم أخبر تعالى ... فإذا قضى المؤمنون الصلاة وأتموها فعليهم أن يكثروا من ذكر الله في حالة القيام والقعود والاضطجاع...)(الصابوني، 1986م، ج1، ص572).

التراكيب الشرطية في هذه الآيات :

- وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ

إذا: ظرف زمان مستقبل، وهي شرطية في أكثر استعمالاتها، لكن الجزم بها مقصور على الشعر وحده، ومن أمثلته المأثورة قول الشاعر عبد قيس ابن خفاف :

استغنِ – ما أغناك ربُّك – بالغِنَى وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ (أبو العباس المفضل الضبي، المفضليات، 2003، ج2،ص 308)

الشاهد: أن فعل الشرط بعد إذا جاء مجزوما (تصبْك)، كذلك الجواب(تجمّلْ).

وإذا لا تخرج عن الظرفية أصلا، وقد تتجرد عن الشرط نحو قوله تعالى:(وَٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)(الأعراف، آية: 37)، بدليل خلو الجملة الاسمية (هم يغفرون) من الفاء. ومن ذلك والواقعة في القسم نحو قوله تعالى: (والليل إذا يغشى) (سورة الليل، آية:1) (عباس حسن ، النحو الوافي، ج4، ص442)

جملة الشرط: ضربتم في الأرض، وجملة جواب الشرط: فليس عليكم جناح أن تقصرا من الصلاة، اقترنت جملة الشرط بالفاء لأن فعلها جامد لا يصلح أن يكون شرطا فكانت الفاء رابطا لفظيا لربط الجواب بالشرط ، فيتحقق بذلك تعليق الجواب بالشرط ويتحقق بموجب هذا التعليق تماسك النص .ثم توالت الجمل الشرطية متعاطفة بالواو والفاء محدثةً ترابطا واتساقا بينها . وهنا تتجلى الظاهرة الأسلوبية التي تقوم على التفصيل والاستقصاء في تصور وقوع الأحوال وما يترتب عليها من طرق أداء الصلاة فيها. يقول عز وجل:(وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ)

(فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ...)

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ)

(فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا)

ويلاحظ استخدام((إذا)) للتعبير عن الأحوال المختلفة واستقصائها في هذه التراكيب الشرطية، وتفصيل ما يترتب على كل حالة شرطية من حكم وأمر ، والخطاب موجه للمؤمنين وللنبي . ويلاحظ أن جواب الشرط في هذه التراكيب هو جملة طلبية؛ (فلتقُم طائفة) و(فليكونوا من ورائكم)، و(فأقيموا الصلاة) والجملة الطلبية لا تصلح أن تكون جوابا للشرط لذلك اقترنت بالفاء لتربطها بجملة الشرط فتتصل معاني الكلام ودلالته بترابط أجزائه. وتتجلى الظاهرة الأسلوبية في توظيف الجملة الشرطية من خلال تفجير طاقاتها التعبيرية في تصوير الأحوال المختلفة وتشكيل النص القرآني وكل ووحدة وترابط. ويتضح ذلك جليا من خلال ما عطف من جملٍ على جملة الشرط ، أوما عطف من جمل على جملة الجواب، وأي جملة عطفت على جملة الشرط أو الجوب فهي جزءٌ منها مكملا للشرط ومكملا للجواب ، والجواب مكملٌ للشرط فيحدث التماسك والترابط اللفظي والمعنوي.

4- ومن النماذج الشرطية التي وردت في سورة النساء وتجلت فيها ظاهرة استقصاء الأحكام وتتبع تفاصيلها بتكرار الجمل الشرطية ، وما عطف عليها من جمل بغية التوضيح و الاحاطة والشمول ؛ ماجاء من جمل شرطية لتوزيع أنصبة المواريث واستقصاء حالاتها المختلفة وأحكامها التفصيلية الدقيقة ، وذلك في بيان ناصع ونسيج مترابط من العبارات والتراكيب الشرطية. ويتضح ذلك في قوله تعالى:(وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) (النساء:6)

(وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) (النساء : 8). في هذه الآيات الكريمة يتضافر أسلوب الشرط مع أسلوب الطلب الذي يمثله الجواب ويتبعهما تفصيل دقيق فيما عطف من جمل على جمل الشرط لتبين ما تقرره هذه الآيات لمبدأ الميراث وجعله حقا للذكور والإناث في مال الأقرباء ، ووجوب الإحسان إلى اليتامى والخشية عليهم كما يخشى الإنسان على أولاده. يقول الشيخ الصابوني في توضيح معنى هذه الآيات: (أمر تعالى باختبار اليتامى حتى إذا رأوا منهم صلاحاً في الدين، وحفظاً للأموال، فعلى الأوصياء أن يدفعوا إليهم أموالهم من غير تأخير، وعليهمألا يبذروها ويفرطوا في انفاقها... فمن كان غنياً فليكفّ عن مال اليتيم، ومن مان فقيراً فليأكل على قدر الحاجة، فإذا

دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم لئلا يجحدوا تسلمها وكفى بالله محاسبا ورقيباً ... وأمر بإعطاء أولي القربى واليتامى والمساكين من غير الوارثين شيئاً من هذه التركة تطيباً لخاطرهم وإحسانا إليهم.) (الصابوني، محمد علي – ورائع البيان– 1986–ج1، ص 481).

هذا المعنى الإجمالي الذي برز فيما سبق من توضيح وتفسير هو خلاصة هذا النص المنسبك من تعاقب جمل الشرط ، وما تخللها من جمل متعاطفة عليها معضدة لمعاني الجمل الشرطية ومكملة لتفاصيلها وأحكامها.

خاتمة:

اهتم هذا البحث ببيان توظيف الشرط في تفصيل واستقصاء الأحكام في سورة النساء، وأثره في ترابط النص القرآني وانسجامه وتكامل دلالاته ، وقد مهد الباحث لهذه الدراسة ببيان ضاف لمفهوم الربط وأدواته وأنواعه وأهميته في تماسك النصوص وتقوية بنائها، توصلت هذه الدراسة إلى نتيجة علمية هي أن الشرط في سورة النساء يمثل ظاهرة أسلوبية تكرَر فيها استخدامُ الشرطِ، وتمَّ فيها توظيفُه خيرَ توظيفٍ. وأسلوبُ الشرطِ يستخدَم في الحالاتِ التي فيها ترتيبُ شيءٍ على غيرِه، وكثرتُه في سورة النساء تعني التفصيلَ، واستقصاءَ التفاصيلِ والأحكام الترتبة عليها.

المراجع:

1– الأصول في النحو، أبو بكر محمد ابن السري ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، لبان، بيروت.

2– الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2003م.

3– تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986م

4–تفسير الجلالين، جلال الدين محمد ابمأحمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، شركة الشمرلي– مصر 1977م.

5– دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 ، 1996م.

6– ديوان المفضليات، أبو العباس المفضل الضبي، شرح القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق:محمد نبيل طريفي، دار صادر ، بيروت، لبنان، ط02003،1م.

7– شرح الرضي على الكافية، الرضي الاستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996.

8– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة، د.ط. 2004م.

9– شرح الكافية الشافية ، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2000م.

10– شرح ابن الناظم، بدر الدين محمد بن محمد بن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد عبد الحميد، دار الجيل ،بيروت

11– الكتاب، سيبويه، تحقيق عدبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت، لبنان.

12– النحو الوافي ، عباس حسن، ط5، دار المعارف ، مصر

الدوريات:

مجلة العلوم الإنسانية ،جامعةالسودان للعلوم والتكنولوجيا، بحث بعنوان :لسانيات النص ومعايير الخطاب الالصحافي، عوض عباس الهدي،محمد علي أحمد، محمد داود محمد، ، مجلد .16(1)2017